بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الإمام علي (ع) في غديريات شعراء أصفهان

(دراسة وصفية تحليلية)

سمية حسن عليان[1]

الملخص:

اهتمام الأدباء الإيرانيين ـ الشعراء منهم والكتاب ـ بصفتهم مسلمين بالموضوعات الإسلامية أمر لا يغمض عنه ومما سلك مسلكه إلى الأدب الفارسي هو الغدير وما يتصل بهذا اليوم الميمون المبارك. ومن هذا المنطلق ظهرت قصائد شهيرة قيمة بعنوان غديريات في الأدب الفارسي.

انسياقا من هذا يستهدف البحث إلى دراسة صورة الإمام علي (ع) في غديريات شعراء أصفهان مستخدما المنهج التوصيفي ـ التحليلي.

ظهر من خلال البحث أن الشعراء الأصفهانيين عرضوا مناقب الإمام علي (ع) وفضائله في غديرياتهم كالعدالة والشجاعة والعلم وأشاروا إلى أفضلية الإمام على غيره، مقتبسين الآيات القرآنية الكريمة، مضمنين الأحاديث النبوية الشريفة وكأن هذه الآيات والأحاديث أغنت أشعارهم ودعمت الصورة المعروضة للإمام علي (ع).

الكلمات الأساسية: الإمام علي (ع)، الغديريات، الشعراء، أصفهان، فضائل الإمام (ع)

١. أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان ٠٠٩٨٩١٣٨١٦٧٣٥٦ shassanalian@yahoo.com

١. المقدمة:

بعد أن دخل الإيرانيون في الإسلام واعتنقوه رغبة وطوعا اهتموا باللغة العربية بصفتها لغة القرآن الكريم فضلا عن اهتمامهم بحوادث ووقائع إسلامية تاريخية. من هذه الوقائع الهامة في الإسلام هي قضية الولاية المتحققة في يوم الغدير المبارك.

إضافة عن القصائد العربية الكثيرة في الأدب الفارسي هناك قصائد بليغة بلغة فارسية حول هذا الموضوع الجليل.

من هذا المنطلق يستهدف هذا البحث إلى دراسة صورة الإمام علي (ع) في الغديريات الفارسية ولكن نظرا إلى كثرتها وتنوعها في العصور المختلفة فقصد البحث دراسة غديريات لشعراء منطقة واحدة ألا وهي أصفهان وذلك لأن الباحثة هي أصفهانية والبحث عما يتعلق بمدينتها أولى.

مجتمع الدراسة يشمل الغديريات التي وردت في كتاب فارسي بعنوان «غديريه‌هاى شعر فارسي از قرن چهارم تا چهاردهم» [غديريات فارسية من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر] وتتضمن قصائد لشعراء هم:

بابا أفضل الدين كاشاني (القرن السابع)، مولانا كاشي، محمد حسن أفضل المتكلمين (القرن الثامن)، سائل كاشاني (القرن العاشر)، حكيم شفائي أصفهاني، شرف الدين حسن (القرن الحادي عشر)، ميرسند كاشاني (القرن الحادي عشر)، نجيب كاشاني، نور الدين محمد (القرن الحادي عشر)، طبيب أصفهاني، ميرزا عبد الباقي (القرن الثاني عشر)، عاشق أصفهاني، محمد (القرن الثاني عشر)، الماسي أصفهاني، ميرزا محمد تقي شمس آبادي (القرن الثاني عشر)، هاتف أصفهاني، سيد احمد (القرن الثاني عشر)، رشحه أصفهاني، محمدباقر (القرن الثالث عشر)، سروش أصفهاني، شمس الشعراء ميرزا محمد علي (القرن الثالث عشر)، شكيب أصفهاني، محمدرضا (القرن الثالث عشر)، شمس الأدباء، ميرزا سيد محمد أصفهاني (القرن الثالث عشر)، روشن اردستاني، ميرزا صادق (القرن الثالث عشر)، عنقاى أصفهاني، محمد حسين (القرن الثالث عشر)، صباى كاشاني، محمود خان ملك الشعراء (القرن الثالث عشر)، ميرزا حبيب أصفهاني (القرن الثالث عشر)، صفي عليشاه، ميرزا حسن أصفهاني (القرن الثالث عشر)، صبوري كاشاني، محمدكاظم (القرن الرابع عشر)، فروغي أصفهاني، ميرزا محمد حسين ذكاء الملك (القرن الرابع عشر)، طرب أصفهاني، ابوالقاسم محمد نصير (القرن الرابع عشر)، غمگين أصفهاني، محمد كاظم (القرن الرابع عشر)، يحيى مدرس أصفهاني (القرن الرابع عشر)، غروي أصفهاني، محمد حسين كمپاني (القرن الرابع عشر)، صغير أصفهاني، محمد حسين (القرن الرابع عشر)، گلزار أصفهاني (القرن المعاصر)، منشي كاشاني حسين علي (القرن

المعاصر)، جلال الدين همايي (القرن المعاصر)، مكرم أصفهاني، محمدعلي حبيب‌آبادي (القرن المعاصر)، نواى أصفهاني، جعفر نوابخش (القرن المعاصر)، مشفق كاشاني، عباس كي منش (القرن المعاصر)، اشترى أصفهاني، مرتضى (القرن المعاصر).

كثرة هؤلاء الشعراء لو دل على شيء ليدل على اهتمام الأصفهانيين طوال التاريخ بموضوع الغدير وولائهم وحبهم للإمام علي (ع).

المنهج الذي توخاه البحث لدراسة صورة الإمام علي (ع) في الغديريات هو التوصيفي ـ التحليلي.

بالنسبة إلى الدراسات السابقة فلا بد أن نذكر أن هناك دراسات بحثت عن صورة الإمام (ع) في أشعار بعض الشعراء ولا تخلو الإشارة إلى بعضها من جدوى وإن لا تسع هذه المقالة كلها وهذه على سبيل المثال لا الحصر:

ـ مقالة «سيماى امام على (ع) در اشعار سيد حميري» [صوره الإمام علي (ع) في شعر السيد الحميري]. لعباس عرب وشيرين سالم. مجلة لسان مبين. السنة ٣. الرقم ٨. ١٣٩١. ص ١٩٨. ٢٢٣.

ـ مقالة «صورةُ الإمام علي (ع) في القصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد المعتزلي». لحسين عبد العال اللهيبي. جامعة الكوفة. مهرجان الغدير العالمي الأول.

ولكننا لم نحصل على دراسة وافية حق الموضوع في الغديريات الأصفهانية.

ويجدر بنا أن نعرف بعض مصطلحات البحث التي تحتاج إلى بعض التوضيحات:

الإمام علي (ع): لا تسع هذه السطور القليلة التعريف بشخصية كبيرة كعلي بن أبي طالب (ع) الذي شغل العالم بصفاته المتميزة وبكلامه الزاهر. هو علي بن أبي طالب (ع) كُنيتُه: أبو الحسن، أبو الحسنين، أبو تراب .وألقابه: أمير المؤمنين، المرتضى، الوصي، حيدر، يعسوب المؤمنين، يعسوب الدين. ولد سنة ٣٠ بعد عام الفيل في اليوم الثالث عشر من رجب في يوم الجمعة في بيت الله الحرام. وعاش بمكة ١٠ عشرة سنوات، مع النبيّ، قبل بعثته مترعرعاً في كنفه. وأقام بمكّة مع النبيّ ١٣ ثلاث عشرة سنةً بعد البعثة المباركة. ثمَّ هاجر إلى المدينة فأقام بها مع النبيّ ١٠ عشر سنين وأقام بعد أن مضى رسول الله ٣٠ ثلاثين سنة.

أصفهان: مدينة جميلة تقع في مركز إيران وتعتبر مدينة العجائب وفيها معالم أثرية جميلة وهناك مثل شهير في الفارسية يقال: أصفهان نصف العام (الدنيا) كأن من زار أصفهان زار نصف العالم. وهذه المدينة كانت مركزا هاما للأدب العربي إذ كانت حاضرة من حواضر العلم والثقافة وعلماؤها كانوا يهتمون به قديما وحديثا. من أشهر علمائها

المهتمين بالأدب العربي هم: رُسْتَه بن أبي الأبيض الاصبهاني، أحمد بن عَلَوية الكاتب الاصبهاني، الصاحب إسماعيل بن عبّاد، الطغرايي، عماد الدين الكاتب الأصفهاني و غيرهم من الأدباء والشعراء.

٢. صورة الإمام علي (ع) في الغديريات الأصفهانية:

بعد القراءة المتأملة للغديريات الأصفهانية حصلنا على الصورة التي رسمها هؤلاء الشعراء في غديرياتهم وتمتاز هذه الصورة بعدة معالم. أهم هذه المعالم تتجلى في مناقب الإمام وفضائله وهي:

٢. ١. علي (ع) عادل:

أشار الشعراء إلى عدالة الإمام (ع) إليك بعض نماذجه:

قال الشاعر غمگين أصفهاني أن الظلم يفر لعدل الإمام (ع) وستنتظم أمور العالم إذا إجريت عدالته على الأرض:

ز فـر و دادش خواهـد گريخـت ظلـم و سـتم جهـان ز عـدلش خواهـد گرفـت نظـم و نسـق

وقال شاعر آخر:

خســـرو عـــادل عـــديل خـــتم رســـولان آن كه نگين داد در ركوع به سائل (٤١٣)

٢. ٢. علي (ع) شجاع:

لا يخامرنا شك في شجاعة الإمام علي (ع) هو الذي اشترك في كل الغزوات والحروب إلا غزوة تبوك وذاك بأمر الرسول (ص) (البلاذري، ١٩٧٤م، ٢: ٩٢) وأبلى بلاءا حسنا في كل تلك الحروب وما جرى هو المذكور في الكتب التاريخية كقصة غزوة خيبر الشهيرة. صور الشعراء الإمام (ع) بصورة أسد يهجم على العدو والكفار ويهزمهم:

چنـان كـز صـولت شـير خـدا كفـار در ميـدان چنـان كـز حملـه ضـرغام ديـن ابطـال در بيـدا

وقال شاعر آخر مشيرا إلى أن لعلي (ع) حلما وهبه الله إياه ولو لا ذاك الحلم لقُتل كثير من برق سيفه حتى لم يبق على الأرض أحد:

عيان در آتش رمح تو ثعبانهای برق افشان نهـان از آب شمشـير تـو درياهـای طوفـانزا

اگـر حلـم خداونـدي نيـاويزد بـه بازويـت چـو يـازي دسـت تيـغ و تـازي بـر صـف اعـدا

زبـرق ذو الفقـارت خـرمن هسـتي چنـان سـوزد كه جانداري نگردد تا قيامت در جهان پيدا

في البيت الأول من هذه الأبيات إشارة إلى معجزة النبي موسى (ع) كما أن موسى كان يستخدم عصى وتتحول العصا إلى ثعبان كبير يلتقم الكفار فسيف علي (ع) كثعبان لا يُبقي أحدا من الكفار أمامه في الحروب.

أنشد سروش أصفهاني مشيرا إلى حروب الإمام (ع) وشهرته في شجاعته بين أهل السماء فضلا عن أهل الأرض:

مـــرد أحـــد مبـــارز صـــفين امـــير بـــدر شـهره در آسمانهـا صـيت شـجاعتش (٢١٧)

٢. ٣. علي (ع) شفيع يوم الحساب:

بدون أي شك الشفاعة ثابتة للنبي (ص) وآله الأطهار (ع) وذكر الشعراء الأصفهانيون هذا الموضوع في غديرياتهم راجين هذه الشفاعة يوم الحشر:

تـــو و اولاد انجـــاد كـــرام تســـت هـــاتف را امـــام و پيشـــوا و مقتـــدا و شـــافع و مـــولا

نپنـدارم كـه فـردای قيامـت تـيره گـون گـردد محبـان تـو را از دود آتـش غـره غـرا (١٩٨)

وقال شاعر آخر معتبرا الإمام (ع) السبب الرئيسي لإيجاد العالم وخلقه كما أنه شفيع المجرمين يوم الحساب:

عليســـت باعـــث بنيـــاد عـــالم امكـــان عليسـت شـافع جـرم و گنـاه عاليـان (٢٤٥)

٢. ٤. علي (ع) جواد سخي:

كان الإمام (ع) يتصدق كثيرا وهذه الكثرة وشدة بذله لها إن كان يعكس صورة صادقة عن جود الإمام (ع) وسخائه إلا أن الدقة في سيرته العطرة تكشف لنا هذا البعد أكثر فأكثر. فقد كان أسخى من الغيث على الأمة التي عايشها. ومن مظاهر جوده أيضا بطولاته والبلاء الذي أبلاه في الغزوات والحروب للدفاع عن الدين الإسلامي.

والشعراء اهتموا بهذا الجانب لشخصية الإمام (ع) ومدحوه بجوده وسخائه. والجدير بالذكر مع أن البحر هو مظهر للجود والسخاء ولكن الشاعر الفارسي مولانا كاشي في غديريته يقر بأن البحر يأخذ سخائه من الإمام (ع):

خازنـــان كـــان و دريـــا كيســـه‌ها بردوختنـــد روز بـــازار ســـخايت يـــا أمـــير المـــؤمنين

بـس كـه لعـل انـدر دل كـان خـاك بـر سـر از دل دريـا عطايـت يـا أمـير المـؤمنين (٨١)

وذكر الشاعر مشتاقي نايبني أن كل الكائنات محتاجون لعطاء الأمير (ع) وجوده:

جنـت و دوزخ زمـين و آسمـان خورشـيد و مـاه جملـه محتـاج عطايـت يـا أمـير المؤمنين (٢٧٠)

٢. ٥. علي (ع) ملجأ الناس ومأواهم:

قال عاشق أصفهاني بعد أن ذكر جور الأيام عليه ومصائب الدهر له بأن ليس له ملجأ إلا عتبة الإمام علي (ع) ويأوى إليه:

چـرخ بـا مـن دشمـن وجـز آسـتان بـو تـراب نيسـت جـای ديگـر از بهـر پنـاهم دل پـذير

٢. ٦. علي (ع) باب رحمة الله:

ذكر الشاعر سروش أصفهاني أن عليا هو باب رحمة الله ويد الله ويطلب منه أن يرحمه:

اي دسـت خداونـد جهـان اي در رحمـت بـر بنـده مـداح بـود جـاي تـرحم (٢٢٢)

٢. ٧. حب علي (ع) كيمياء:

اعترف سروش بأن حب الإمام علي (ع) كيمياء يبدل القلوب إلى ذهب خالص وأن هذا الحب هو الذي يهب الإنسان القدرة والسعادة في الدنيا والآخرة:

خـواهي تـوانگري دو جهـان حـب او گـزين حب علي به هر دو جهـان طرفه كيمياست

كما أن محب علي (ع) لا يخاف يوم القيامة ويرى الشاعر أن المحب إذا خاف لم يتق الله:

سـاقي دگـر ايـن چـه تقـوى و پرهيـز اسـت با حب علي چه بيم رستاخيز است (١٦٩)

كما أن حبه ميزان الفلاح وكأن اسم علي (ع) هو مفتاح باب النجاة والفلاح كما قال ميرزا حسن أصفهاني:

بي مهـر علـى كـه هسـت ميـزان فـلاح سـودى ندهـد بـه هـيچ كـس علـم و صـلاح

تـا بـاب نجـات بـر تـو گـردد مفتـوح از نـام علـي بـه دسـت آور مفتـاح (٢٦٠)

٢. ٨. علي (ع) حطّ أصنام الكعبة:

روى ابن شهر آشوب قال: استنابه (ص) يوم الفتح في أمر عظيم، فانه وقف حتى صعد على كتفه وتعلق بسطح الكعبة وصعد، وكان يقلع الأصنام بحيث يهتز حيطان البيت، ثم رمى بها فتكسر (البحراني، ١٤١٧هـ، ٢: ٤٤٢).

قال الشاعر الفارسي الأصفهاني مشيرا إلى أن الدين قوي على يد علي (ع) كما أن الأصنام اللات والعزى و.. انكسرت على يده وتخلصت الكعبة من رجسها:

شـد از دسـتت قـوي ديـن خـدا آيـين پيغمـبر شكسـت از بازويـت مقـدار لات و عـزت عـزا

وقال الآخر:

آنكـــه كـــه گشـــتي ســـوار كتـــف نـــبي تـــا فـــرو ريخـــت از حـــرم اصـــنام (١٨٥)

٢. ٩. علي (ع) نام مكان النبي (ص):

هذه الواقعة اشتهرت بليلة المبيت إذ « وروى ابن الأثير في أسد الغابة بإسناده إلى الأستاذ أبي إسحاق ، أحمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر، قال: رأيت في بعض الكتب، أن رسول الله (ص)، لما أراد الهجرة، خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديون، ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء الله تعالى ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين نبيي محمد، فبات على فراشه يحرسه، يفديه، بنفسه ويؤثره بالحياة ، إهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبريل عند رأس علي، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله عز وجل به الملائكة، فأنزل الله عزوجل على رسوله، وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ [البقرة ٢: ٢٠٧]» (ابن الأثير، د.ت، ٤: ١٠٣). وجعلوا الشعراء هذه الحادثة نصب أعينهم في بيان فضائل الإمام (ع).

قال طبيب أصفهاني:

آن كـــه خفـــتي بـــه خوابگـــاه رســـول در شـــب هجـــرت رســـول انـــام (١٨٥)

وذكر رشحه أصفهاني أن الذي نام على فراش النبي (ص) وجعل نفسه معرضة لخطر الموت لحفظ النبي (ص) والدين الإسلامي هو أولى بدن يكون إماما بعد النبي (ص):

آن كس كه به شب خفت به جاى احمد زيبد كه نشاندش به جا روز غدير (٢١٦)

٢. ١٠. لا يسع لامرئ وصف علي (ع):

اعترف كثير من شعراء أصفهان في غديرياتهم بعدم قدرتهم على وصف الإمام (ع) والتعريف بمناقبه وفضائله ورأوا أن الإمام (ع) أعلى وأرفع شأنا وقدرا من أن يوصف أو يسع أبيات من الشعر فضائله الواسعة. من نماذج هذه الاعترافات هي:

من و انديشه مدح تو باد از اين هوس شرمم چسان پرد مگس جايي كه ريزد بال و پر عنقا

إذ شبه الشاعر نفسه بذباب أراد أن يطير في الفضاء الذي يطير العنقاء فيه.

أو قال مولانا كاشي:

خاطر همچون مني شوريده خاطر چون كند وصف قدر كبريايت يا أمير المؤمنين (٨١)

٢. ١١. علي (ع) عالم:

من صفات هامة لعلي (ع) هي العلم الذي اتصف به وفي تضمين الأحاديث سنشير إلى ما روي عن النبي (ص) في بيان علم الإمام (ع). قال الإمام علي (ع) في خطبته الشهيرة: «سلوني قبل أن تفقدوني» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩) وأشار كثير من الشعراء إلى علم الإمام مضمنا هذا القول:

از سلوني حديث چون گفتي گرد جهل از جهانيان رفتي (١٤٥)

إذ قال الشاعر أن الإمام بقوله سلوني كأنه ذهب بغبار الجهل عن العالمين.

أو قال شاعر آخر:

بر منبر سلوني و بر تخت لو كشف بنشسته ونهاده به سر تاج إنماست (٢١٩)

وقول الشاعر «لو كشف» فيه إشارة إلى ما قال الإمام (ع) في بيان ما عنده من العلم:«لو كشف الغطاء عني ما ازددت يقينا» (الآمدي، ١٣٦٦، ١١٩).

٢. ١٢. علي (ع) مولود الكعبة:

ثمة فضيله خص الله تعالى الإمام علي (ع) بها وهي ولادته بالكعبة. قال شاعر أصفهاني ذاكرا هذه المنقبة في مدح الإمام (ع):

كعبه ولادتكده حيدر است كرد خليل از قبل اين بناش (٢٢٠)

٢. ١٣. علي (ع) كفو الزهراء (س):

من مناقب الإمام علي (ع) أنه هو صهر الرسول الكريم (ص) وزوج فاطمة الزهراء (س) وقد ذكر الشعراء هذا الموضوع في غديرياتهم. أنشد روشن اردستاني:

شوهر زهرا أبو السبطين بن عم رسول رهبر جبريل دست حق علي مرتضى (٢٤٢)

وقد ورد عن جعفر بن نعيم الشاذاني عن أحمد بن إدريس عن ابن هاشم عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) قال: قال لي رسول الله (ص) يا علي لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا : خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت عليا فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فهبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليا لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه (الشيخ الصدوق، ١٣٧٨هـ، ١: ٢٢٥).

وقد أنشد الشاعر الفارسي قائلا:

روز زفـــاف فاطمـــه فرمـــود مصـــطفى بـــا زمـــره مهـــاجر و انصـــار ســـر بســـر

كـــز مـــا ســـوى نبـــود كســـي همســـر بتـــول گر مرتضى نبود در اين عرصه مستقر (٢٤٣)

٣. الدراسة الفنية للغديريات الأصفهانية:

في هذا القسم من المقالة سنشير إلى ومضات أسلوبية للغديريات الأصفهانية. منها:

٣. ١. اقتباس القرآن الكريم:

اقتباس الآيات القرآنية لإغناء النصوص الشعرية من دأب الشعراء مند عصر النزول ولم ينحصر الأمر على الشعراء العرب بل اهتموا به الشعراء الفرس طوال القرون مذ أن دخلوا في الإسلام وانصهروا فيه. فيما يلي بعض اقتباسات قرآنية لشعراء أصفهان في غديرياتهم:

آية «بلغ» وآية «أكملت»: نقصد بهذه الآية الكريمة هذه: يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [المائدة ٥: ٦٧] إذ على أساس هذه الآية وقف النبي (ص) وأوقف قوافل الحجيج وعرف الإمام (ع) وليا بعده بأمر الله تعالى. والآية الثانية هي: الْيوْمَ يئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة ٥: ٣] والشعراء الأصفهانيون عندما يشيرون إلى واقعة الغدير فيذكرون هتين الآيتين من نماذج هذه الإشارات هي:

آمد امروز جبريل امين جانب مصطفى به خم غدير
كاى تو بر جمله ما سوا سرور امر ما راكنون مكن تأخير
دست حيدر بگير و از سر قدر بنشان جاى خويشتن به سرير (٢٩٤)

في الأبيات إشارة إلى الآية الأولى. وقال شاعر آخر:

امروز عيد ملت اسلاميان بود روز كمال دين خداوند داور است (٢٨٠)

في البيت إشارة إلى الآية الثانية إذ هو يوم إكمال الدين الإسلامي.

نعمت امروز به مخلوق جهان گشت تمام شد وصي نبي امروز ولي يزدان (٢٩٥)

في البيت أيضا إشارة إلى الآية الثانية إذ هو يوم إتمام النعمةعلى الخلق.

كما أن يوم الغدير يوم رحمة الله على عباده وإتمام النعم عليهم وإكمال الدين ولذلك رُفع علم الإسلام حتى كأنه وصل إلى نحو عيوق وهو نجم بعيد جدا وكناية عن البعد:

امـــروز كردگـــار بـــود روز رحمـــتش بـــر بنـــدگان تمـــام كـــرد نعمـــتش

امـــروز ديـــن وداد كمـــالى تمـــام يافـــت اسـلام سـود بـر سـر عيـوق رايـتش (٢١٧)

آية «إنما»: إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ [المائدة ٥: ٥٥] وقد روي:«أنّ هذه الآية نزلت عندما تصدّق عليّ (ع) على السائل في مسجد رسول الله (ص) وهو في حال الركوع» (الحسكاني، ١٤١١هـ، ١: ٢١٢). والشعراء اقتبسوا هذه الآية مشيرا إلى منقبة من مناقب الإمام علي (ع). قال الشاعر:

از إِنَّمَـــا وَلِـــيكُمُ اللَّـــهُ نوشـــته انـــد برهـان لا تنـاهي وجـودش بـر آفتـاب (١٤٣)

وقال شاعر آخر:

يكـــي از فضـــل او غـــدير خـــم اســـت ديگـــري إِنَّمَـــا وَلِـــيكُمُ اســـت (١٤٥)

كما قال گلزار أصفهاني:

خســـرو عـــادل عـــديل خـــتم رســـولان آن كه نگين داد در ركوع به سائل (٤١٣)

آية «هل أتى»: وهذا إشارة إلى الايات الكريمة في أواخر سورة الإنسان إذ نزلت بشأن الإمام علي (ع) وزوجته الصديقة الزهراء (س) (السيوطي، ١٩٩٣م، ٦: ٢٩٩) إذ مرض الحسن والحسين ونذر الإمام والسيدة فاطمة أن يصوما ولكن في كل ليلة وقت الإفطار قد دخل عليهم مسكين ويتيم وأسير وأطعموه ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلاّ الماء فأتاهم رسول الله (ص) فرآى ما بهم من الجوع ، فأنزل الله تعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، إلى قوله: وَيطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا [الإنسان ٧٦: ١. ٩] (أنظر ابن الأثير، د.ت، ٥: ٥٣٠)

قال شاعر أصفهاني آخذا هذه الآية برهانا على فضل الإمام (ع) وذكرا لمناقبه:

بـــر كمـــالات او بـــود برهـــان حجـت هَـلْ أَتَـى عَلَـى الْإِنْسَـانِ (١٤٥)

آية «أنفسنا وأنفسكم»: والآية هي: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ [آل عمران ٣: ٦١] وقصة المباهلة مشهورة في كتب التاريخ والتفسير وقيل إن أنفسنا يقصد بها النبي (ص) نفسه الإمام علي (ع) إذ جعله مثل

نفسه (ع). وهذه منقبة وفضيلة أخرى للإمام علي (ع) ذكرها الشعراء في أشعارهم. قال شمس أصفهاني أن الذين فضلوا الخلفاء على الإمام (ع) في الواقع هم جاهلون غافلون عن أنهم فضلوا شخصا على النبي (ص) لأن عليا هو نفس النبي (ص):

عـاقلان داننـد ايـن معنـى كـه نـا زيبـا بـود خارجي را برتر از نفس پيمبر داشتن (٢٣٨)

آية «جاء الحق وزهق الباطل»: الآية هي: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [الإسراء ١٧: ٨١] قال الشاعر:

نوشـت بـر در و ديـوار كلـك قـدرت حـق كه نوبت « زَهَقَ الْبَاطِلُ» است و « جَاءَ الْحَقُّ »

آية «كرمنا» و«علم الأسماء»: قصد الشاعر الآيتين الكريمتين: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ [الإسراء ١٧: ٧٠] و وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا [البقرة ٢: ٣١] إذ قال في بيته:

هـم تـو مخصـوص لطـف «كَرَّمْنَـا» هـم تـو منصـوص «عَلَّـمَ الْأَسْمَـا» (١٤٥)

٣. ٢. تضمين الحديث الشريف:

إليك بعض نماذج من تضمين الشعراء الحديث الشريف لبيان مناقب الإمام علي (ع):

. حديث «المنزلة»:

قال النبي (ص): « يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٣٩: ٦٢).

وقال الشاعر:

سـپرد مصـطفى در ديـن را بـه مرتضـى مولاى مؤمنـان شـد و هـارون امـتش (٢١٧)

وقال شاعر آخر:

هـارونش خوانـد و داد مـر او را خليفـتي آن كو به جمله خلق دليل است و رهبر است

. حديث «علي قسيم النار والجنة»:

قال النبي (ص): «..تأمر بشيعتك إلى الجنة و بأعدائك إلى النار ، فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٣٩: ١٩٣).

وقال الشاعر هاتف:

ولي حضـــرت عـــزت قســـيم دوزخ و جنـــت قـــوام مـــذهب و ملـــت نظـــام الـــدين والـــدنيا

وقال في موضع آخر منكرا أن يفكر محبوا الإمام (ع) بالنار إذا كان الإمام قسيم النار والجنة:

قســيم دوزخ و جنــت تــويي در عرصــه محشــر غلامـــان تـــو را انديشـــه دوزخ بـــود؟ حاشـــا

. حديث «لحمك لحمي»:

قال النبي (ص): «لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وروحك من روحي، وسريرتك سريرتي، وعلانيتك علانيتي» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٢٣: ١٢٦).

وقال الشاعر:

هـر كـس حـديث لحمـك لحمـي شـنيده اسـت داند على به رتبه يكي با پيمبر است (٢٣٠)

. حديث «علي مع الحق والحق معه»:

قال النبي (ص): «علي مع الحق والحق معه» (مجلسي، ١٤٠٣هـ، ٣٨: ٣٤). كما روي أيضا: «الشيخ في أماليه قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن رباح الأشجعي قال: حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي قال: أخبرنا علي بن هشام بن البريد عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن موسى بن عبد الله بن يزيد يعني الخطمي عن صلة بن زفر أنه أدخل رأسه تحت الثوب بعدما سجى على حذيفة قال فقال له: إن هذه الفتنة قد وقعت فما تأمرني؟ قال: إذا أنت فرغت من دفني فشد على راحلتك والحق بعلي (عليه السلام) فإنه على الحق والحق لا يفارقه» (الطوسي، ١٤١٤هـ، ٢٨٨).

وقال الشاعر:

حق با تو بوده است و تو با حق رسول گفت اين راز ير به مهر كه اينك بود سمر (٢٤٣)

. حديث «مدينة العلم»:

قال النبي (ص): «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٤٠: ٢٠١).

وقال الشاعر:

جـز بـر پـي علـي نـبري ره بـه شـهر علـم كـاو سوى شـهر علـم تـو را شـهره پيشواست

إن الإمام قائد يقود نحو مدينة العلم ويهدي الناس إليه وإنه هو بابها الذي لا بد منه للدخول في هذه المدينة.

وقال شاعر آخر:

او شهر علم بود و تويي باب شهر علم نيز اين حديث گشته از آن شاه مشتهر

. **حديث «لولا»**: اشتهر بلولا وأصل الحديث هو: «ولاك (ما) لما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمه لما خلقتكما» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٥٧: ١٩٩). وكثيرا ما ذكرها شعراء أصفهان في غديرياتهم منها:

رخ از خواب عدم ناشسته بود آدم كه فرق تو مكلل شد به تاج لا فتى و افسر لولا (١٩٦)

في البيت إشارة إلى أفضلية الإمام علي (ع) على آدم (ع) ويقول قبل دن يستيقظ آدم من نوم العدم فكنت مكلل بهذه المناقب. وقال عنقاي أصفهاني:

عليست مصدر ايجاد و خلقت افلاك عليست شوهر زهرا و معني لولاك (٢٤٥)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاعر سائل كاشاني من شعراء القرن العاشر له رسالة قيمة جمعت بين دفتيها أربعين حديثا عن النبي (ص) في فضل الإمام علي (ع) وترجمها إلى الفارسية.

٣. ٣. الخواتم الجميلة للغديريات:

ختم هؤلاء الشعراء غديرياتهم بأبيات جميلة ملائمة للموضوع. إليك بعض نماذجها:

قال مولانا كاشي في آخر غديريته معترفا بأنه لا يمكن لأحد مدح علي (ع) كما يستحقه:

فهم انساني چه داند عزت كار ترا آفرينش بر نتابد بار مقدار ترا (٨٢)

أو قال هاتف مقارنا بين فئة المحبين لعبي وأعدائه:

محبان تو را روشن ز رويت ديده حق بين حسودان تو را بي بهره زان رخ ديده اعمى

أو يطلب الشاعر مكرم أن يحل الإمام عقده إذ لا ملجأ له غير الإمام (ع):

مكرم به جز از كوى تواش نيست پناهي خواهد كنيش عقده لا ينحل دل حل (٢٤٥)

أو يذكر الشعراء كمشفق كاشاني محسنة في البيت الأخير لشعرهم:

تابش خورشيد ز بام عليست سكه توحيد به نام عليست (٤٩٦)

كما كان للعادة أن يُضرب اسم الأشخاص على المسكوكات فمسكوكة التوحيد مضروبة باسم علي (ع) يقصد الشاعر أن الذي لم يؤمن بعلي فلم يؤمن بالله تعالى.

٣. ٤. المحسنات البيانية والبديعية:

كل شاعر عالم بأهمية المحسنات البيانية والبديعية في زيادة جمال الشعر وروعته ولم يستثن شعراء أصفهان في غديرياتهم من هذا الأدمر فاستخدموا هذه المحسنات لإثبات المعاني التي هم بصدد بيانها وتوضيحها في أذهان المخاطبين ومن هذا المنطلق استخدموا التشبيهات الجميلة في أشعارهم. إذ التشبيه «حياته وجماله وبخاصة التمثيلي منه لا تتأتى إلا من جودة الصياغة اللغوية بحسن اللفظ أو معناه وتناسقه الدلالي ففيهما تبرز صنعة الفنان وحذقه وعبقريته» (وهبة، ١٩٩٦م، ٢٩). إليك نماذج من هذه التشبيهات:

وصف رشحه أصفهاني الإمام (ع) وشبهه بالبحر العظيم:

بحر است علي و ديگران كم ز غدير شد قدر علي بلند از حي قدير (٢١٦)

شبه شاعر آخر ما أقدم عليه الإمام (ع) من شجاعة في الحروب بشمس تظهر في العالم ولا يمكن خفاؤها:

در بدر و خندق آنچه علی كرد بهر دين چون آفتاب در همه عالم مشهر است (٢٥٤)

أو شبه الشاعر نفسه وجه الإمام (ع) بمصباح فيهدي به الناس في الظلمة وسيفه كمفتاح لباب خيبر:

حيدر كه روی اوست كه مصباح ظلمت حيدر كه تيغ اوست كه مفتاح خيبر است

وكذلك شبه شاعر الولاية ببحر عميق يطلب من مخاطبه أن يحاول السباحة في هذا البحر ليحصل على العشق المشبه بالدر:

خواهی اگر آوري به كف گوهر عشق در بحر ولايت علي شو سباح (٢٦٠)

وارتبط الشاعر بين الوجود والدين والإمام (ع) وشبهها على الترتيب بالبحر والسفينة والربان والمهم أن يقود الربان السفينة في هذا اليم وعلى الناس كذلك اتباع الإام (ع) للوصول إلى ساحل النجاة:

هستي يم و دين كشتی و حيدر ملاح زين ورطه بود وراى ملاح فلاح (٢٦٠)

كما شبه الشاعر مشتاقي نايبني محبة الإمام (ع) بأم ترضع ابنه وكما أن الابن مدين للأم طوال حياته فكل من في قلبه حب الإمام مدين له:

هـر كـه شـد از دايـه مهـر همـايونش رضـيع بايدش صد منت از آئين مادر داشتن (٢٦٥)

كما شبه جلال الدين همايي الإمام (ع) بسحاب الرحمة قائلا:

تشـنه كامـانيم اى ابـر كرامـت خـوش ببـار تـا گلـوى خشـك مـا از آب رحمـت تـر كـني

واستخدم الشعراء المحسنات البديعية في شعرهم ولم يكن هذا الاستخدام تلاعبا لفظيا كما يحلو للبعض أن يسميها بهذا العنوان بل كان زينةوحلية للنص الشعري.

استخدم الشعراء محسنة **التضاد** في أشعارهم لأن التضاد في بعض الأحيان يدل على معنى العموم وقال هاتف أصفهاني مستخدما التضاد بين كلمتي الشرق والغرب مشيرا إلى أن الإمام (ع) هو إمام كل الناس في العالم:

هژبـر سـالب غالـب علـي بـن ابي طالـب امـام مشـرق و مغـرب امـير يشـرب و بطحـا

وكذلك يساعد التضاد القارئ للمقارنة بين الحالتين المتضادين مثلا قال الشاعر مقارنا بين محبي علي (ع) وأعدائه مشيرا إلى أن أعين الفئة الأولى قريرة لما يرون في وجه علي (ع) في حين أنه أصاب العمي الفئة الثانية:

محبـان تـو را روشـن ز رويـت ديـده حـق بـين حسـودان تـو را بي بهـره زان رخ ديـده اعمـى

وحتى العالم الشيب يصبح شابا إثر الفرح الذي أصابه لعيد الغدير:

حبـذا عيـد غـدير آمـد بـا بخـت جـوان شد از اين مژده جانبخش جوان پير جهان

ومن المحسنات الأخرى الجميلة هي **حسن التعليل** ومن نماذجه:

الشاعر عنقاى أصفهاني يعلل انحناء السماء ويقول إنه لتعظيمه للإمام (ع):

شـير خـدا امـير عـرب كـز ره شـرف پشـت سـپهر از پـي تعظـيم او خـم اسـت

كما أن شاعر آخر يعلل ظاهرة الشفق في الطبيعة بأن حمرة الشفق من دماء الكفار التي جرت على يد الإمام (ع) في الحروب:

زرزمگاهـت اگـر مـوج خـون نخـورده بـه چـرخ نشسته تا بر زانو چرا فلك به شفق (٣٤٥)

ووما لا يفوتنا أن ننبه عليه هو أن التأمل في غديريات شعراء أصفهان يدلنا على استخدامهم ألفاظ الطبيعة في شعرهم وكأنهم يشاركون الطبيعة في فرحهم ليوم الغدير المبارك ويصفون الطبيعة بجمالها ورياضها الغناء وسمائها الأزرق الجميل. قال الشاعر روشن اردستاني:

رســـاند بـــاد صـــبا مـــژده بهـــار امـــروز ز توبـــه توبـــه نمـــودم هـــزار بـــار امـــروز

هـــوا بســـاط زمـــرد فكنـــد در صـــحرا بيـا كـه وقـت نشـاط اسـت و روزگـار امـروز

ســحاب بــر ســر اطفــال بوســتان بــارد بــه جــای قطــره همــي در شــاهوار امــروز

بـه كـام اهـل سـعادت دميـد گـل از شـاخ بـه چشـم اهـل شـقاوت خليـد خـار امـروز

يصف الشاعر هنا الطبيعه في يوم الغدير المبارك إذ بشرت ريح الصبا بقدوم الربيع والجو بسط فراش الزمرد في الصحراء والوقت وقت الطرب والنشاط والسحاب يهطب بغزارة على الرياض الجميلة وفي هذا الهطول بركة وكأنه يهبط على الأرض درر متلألئة كما أن زهرة السعادة طلعت على الأغصان ويحبوها أهل السعادة والنجاة (محبوا الإمام علي (ع)) وكأن الأشواك نبتت في عيون أهل الشقاء (أعداء أمير المؤمنين (ع)).

وكل ذلك باسخدام تشبيهات جميلة ولغة سهلة ساذجة لا غرابة فيها ولا تعقيد.

والجدير بالذكر مع أن الاقتباس والتضمين من أنواع المحسنات البديعية إلا أننا ذكرناهما على حدة لأهميتهما في مثل هذه القصائد (الغديريات) إذ يذكرهما الشاعر ويستند إليهما لإثبات ما يريد بيانه وتفهيمه للمخاطب.

النتيجة:

مما حصلنا عليه إثر القراءة المتأنية لغديريات شعراء أصفهان لاستخراج الصورة الشعرية للإمام في هذه الأشعار هو أنه:

. وصف الشعراء الأصفهانيون الإمام علي (ع) بمناقبه وفضائله ليثبتوا أفضلية الإمام على غيره وأن من غصبوا حق الإمام (ع) هم ظالمون مستكبرون.

. من أهم فضائل الإمام (ع) المشار إليها في الغديريات هي: العدالة، الشجاعة، الجود والسخاء، العلم، وإنه باب رحمة الله، وحب علي كيمياء، وفضائله أكثر من أن تعد وتُحصى، ونوم علي ليلة المبيت مكان النبي (ص).

. لغة هذه الغديريات سهلة فيها كثير من ألفاظ الطبيعة كأن الشعراء شاركوا الطبيعة في فرحهم ليوم الغدير.

. من مضات أسلوبية لهذه الغديريات هي: اقتباس الآيات الكريمة القرآنية، تضمين الأحاديث النبوية الشريفة، الخواتيم الجميلة، استخدام المحسنات البيانية كالتشبيه والبديعية كالتضاد لإغناء شعرهم ولأنه يزداد جمالا وروعة.

المصادر والمراجع

. ***القرآن الكريم***

. ***نهج البلاغة***

. ابن الأثير، عز الدين. (د.ت). ***أسد الغابة في معرفة الصحابة***. تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية.

ـ الآمدي، عبد الواحد. (١٣٦٦). ***غرر الحكم ودرر الكلم***. قم: انتشارات مكتب الإعلام الإسلامي.

. البحراني، سيد هاشم. (١٤١٧هـ). ***البرهان فى تفسير القرآن***. قم: انتشارات دار التفسير.

. البلاذري، أحمد بن يحيى. (١٩٧٤م). ***أنساب الأشراف***. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

. الحسكاني، . (١٤١١هـ). ***شواهد التنزيل***. تهران: مؤسسة الطبع والنشر . ارشاد الاسلامي.

. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٣م). ***الدر المنثور***. بيروت: دار الفكر.

. الشيخ الصدوق، محمد بن علي. (١٣٧٨ هـ). ***عيون أخبار الرضا (ع)***. قم: منشورات الشريف الرضى.

. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤١٤هـ). ***أمالي الطوسي***. تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة. قم: دار الثقافة.

. وهبة، مراد. (١٩٩٦م). **قصة علم الجمال**. القاهرة: دار الثقافة الجديدة.